أهوالُ القيامَة

فى ذلك اليوم العظيم، حين تنشق الأرض عن الموتى، ويخرجون إلى سطحها يدرك الخلائق أن ما وعدهم ربهم كان حقاً، فها هم يساقون إلى السحاب سوقاً لا خيار لهم فيه ولا إفلات منه فيقول الحق سبحانه : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فتجيب الخلائق : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ [١] وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨].

وقال الله جل ثناؤه : ﴿وَعَنَتِ [٢] الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا [٣]﴾

[طه: ١١١-١١٢].

وقال الله عز وجل : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ [٤] يُوفِضُونَ [٥] (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤].

أى أنهم يسعَوْن إلى محشرهم فى سكون وخشوع لا تسمع منهم إلا صوت الأقدام وإلا الهمس.

ويل يومئذ للمكذبين:

قال جَلَّ ذكره : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا

---

(١) لا عوج له : لا يميلون عنه.

(٢) عنت : ذلت واستسلمت.

(٣) هضما : نقصا.

(٤) أى كما يسعون فى الدنيا إلى أصنامهم مسرعين.

(٥) يوفضون : أى يبتدرون.

يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٠-١٧].

وقال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال الله جلَّ ذكره: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٢٩-٣٢].

وقا الله تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ [1] (٣٠) لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ [2] (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ [3] (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ (٣٥) وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٨-٣٧].

---

(١) شعب: لهب النار إذا ارتفع بدخانه فمن شدته أن له ثلاث شعب.

(٢) كالقصر: كالخصون.

(٣) صفر: قطع نحاس والله أعلم.

قبض السماوات والأرضين:

ثم يقبض الجبار سماواته بيده اليمنى وأرضيه بيده الأخرى ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي كطي السجل لما هو مكتوب فيه. [الأنبياء: ١٠٤].

٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**» متفق عليه.

١٠- وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوى الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**» رواه مسلم.

١١- وعن عبيد الله بن مِقْسَم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ قال: «**يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله** - ويقبض أصابعه ويبسُطُها - **أنا الملك**» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟ رواه مسلم.

صفة أرض الحشر:

١٢- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء[1] كقرصة النَّقي[2] ليس فيها عَلَمٌ لأحد**» رواه مسلم.

---

(١) عفراء: أي بيضاء إلى حمرة ليست ناصعة البياض.

(٢) قرصة النقي: أي قرص الدقيق النقي من الغش والنخال.

١٣ - عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرلا**[1]». قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعضٍ؟ قال ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعضٍ**» متفق عليه.

يحشر الكفار على وجوههم:

قال الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ**﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

وقال الله عز وجل: ﴿ **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**﴾ [الإسراء: ٩٧].

١٤ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادراً على أن يُمْشِيَهُ على وجهه يوم القيامة؟**» قال قتادة: بلى وعزة ربنا. متفق عليه.

دنو الشمس من الخلائق وما يكون من العرق:

١٥ - عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا ويُلْجِمُهُم حتى يبلغ آذانهم**» متفق عليه.

١٦ - وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُدْنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**» قال سُلَيْم بن عامر: فوالله ما أدرى ما يعنى بالميل؟ أمسافة الأرض؟ أم الميل الذى تكتحل به العين؟ قال: «**فيكون**

(١) غرلاً: أى غير مختونين.

الناس على قَدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه[1] ومنهم من يُلْجمُهُ العرق إلجاماً[2] » رواه مسلم.

ذلك اليوم الطويل خوفاً وانتظاراً لما يُقْضَى عليهم من سعادة أو شقاوة، فكيف بك يا عبد الله فى ذلك اليوم وقد لفظك القبر بعد طول بلاء فنظرت فى عملك الذى قدَّمْت فلم تجد إلا ريبة فى البعث وشرباً للخمر ولهواً وزناً كثيراً ولعباً للقمار ووقوعاً فى أعراض الناس وغيبة ونميمة وأكل أموال بالباطل وموالاة للملحدين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واستهزاء ومحاربة للمؤمنين المتمسكين بالكتاب والسنة ؟!! ألا فاتقِ الله ربك وارفق بنفسك.

الإتيان يومئذ بجهنم:

قال الله جل ذكره: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢١-٢٤].

١٧- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام[3]، مع كل زمامٍ سبعون ألف ملك يجرونها**» رواه مسلم.

الذين يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله:

١٨- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلُّهم فى ظلِّى يوم لا ظل إلا ظلِّى**» رواه مسلم.

١٩- وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان**

---

(١) الحقو: الخصر ومعقد الإزار من الجنب.

(٢) إلجاما: أى يصل إلى أفواههم.

(٣) الزمام: ما زم به والجمع: أزمة وهى الحبال.

تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» متفق عليه.

٢٠- وعن أبي اليَسَر كعب بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلّه الله في ظله» رواه مسلم.

٢١- وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل امرىء في ظل صدقته حتى يُفصل بين الناس» أو قال: «يُحكم بين الناس» قال يزيد: وكان أبو الخير لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة أو كذا. رواه أحمد وصححه الألباني.

أول من يدعى يوم القيامة آدم وإخراج بعث النار:

٢٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أول من يُدعى يوم القيامة آدم فتراءى ذريته[1] فيقال: هذا أبوكم آدم فيقول: لبيك وسعديك فيقول: أخرج بعث[2] جهنم من ذريتك فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين» فقالوا: يا رسول الله إذا أخذ منا كل مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: «إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود» رواه البخاري.

٢٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» قال: فاشتد ذلك عليهم قالوا: يارسول الله أيُّنا ذلك الرجل؟ فقال:

---

(١) فتراءى ذريته: أي تنظر إليه وتتمكن من رؤيته.

(٢) البعث: أي المبعوث وأصلها من السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغير ذلك.

«والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة» فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: «والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: «والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا شطر[1] أهل الجنة، إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة[2] فى ذراع الحمار» متفق عليه.

عذاب الممتنعين عن دفع زكاة أموالهم يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾ [آل عمران: ١٨٠].

قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٤) يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

٢٤- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع[3] له زبيبتان[4] يطوقه يوم القيامة يأخذ بشدقيه - يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾[آل عمران: ١٨٠]، إلى آخر الآية. رواه البخارى.

٢٥- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحتْ له صفائح من نار فأُحمِى عليها فى نار

---

(١) شطر: أى نصف.

(٢) الرقمة: قطعة بيضاء تكون فى باطن الذراع.

(٣) الشجاع: الحية الذكر، والأقرع: الذى تمعط شعره لكثرة سمه.

(٤) زبيبتان: زبدتان فى الشدقين. وقيل: لحمتان على رأسه مثل القرنين.

جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» قيل: يا رسول الله فالإبل ؟ قال: «ولا صاحب إبل لا يُؤدّى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها[1] إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قَرْقر[2] أوفرَ ما كانت لا يفقد منها فصيلا[3] واحدا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولادها رُدَّ عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقْضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟ قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدّى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا، ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء[4] تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رُدَّ عليه أُخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» رواه مسلم.

٢٦- وروى البخارى ومسلم أيضا عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ: «ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعًا أقرع يتبعه فاتحًا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه: خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غنى، فإذا رأى أن لابُدَّ منه سلك يده فى فيه فيقضمها قَضْمَ الفحل[5]».

حوض النبى ﷺ يوم القيامة:

ويَرِدُ المسلمون حوض النبى ﷺ ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وآنيتُه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدا، وليردَنَّ على رسول الله ﷺ الحوض رجال من أمته يعرفهم بعلامة الوضوء غُرًّا محجَّلين ثم يطردون عن الحوض

---

(١) وردها: أوردها الماء.

(٢) قاع قرقر: أرض مستوية واسعة.

(٣) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٤) العقصاء: الملتوية القرنين، الجلحاء: التى لا قرون لها، العضباء: التى انكسر قرنها الداخلى.

(٥) قضم الفحل: أى يأكلها كما يأكل البعير أكلته.

لأنهم نكصوا على أعقابهم وغيروا بعده ﷺ وما أكثرهم فى هذا الزمان، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

٢٧- عن أبى هريرة ة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «**ترِدُ علَىَّ أمتى الحوض وأنا أذود[١] الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله**» قالوا: يا نبى الله أتعرفنا؟ قال: «نعم. لكم سيما[٢] ليست لأحد غيركم. تَرِدون على غُرًّا محجلين[٣] من آثار الوضوء وليُصَدَّنَ عنى طائفة منكم فلا يصلون فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابى فيجيبنى ملك فيقول: وهل تدرى ما أحدثوا بعدك»؟ رواه مسلم.

٢٨- وعن أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ قالت: قال النبى ﷺ: «**إنى على الحوض حتى أنظر من يَرِدُ علىَّ منكم، وسيؤخذ ناس من دونى فأقول: يا رب منى ومن أمتى؟ فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**»

متفق عليه.

وقد اختلف العلماء فى الحوض والورود عليه: أين يكون؟ ومتى الورود؟ فقيل: يكون قبل الصراط إذ يحشر الناس عطاشى فيرد المؤمنون الحوض ويتساقط الكفار فى النار بعد أن يسألوا السُّقيا كما سيأتى، وقيل: إنه يكون بعد الحساب والميزان والصراط. قلت: والأول أقرب فإن النبى ﷺ قد ضرب موعدًا لأصحابه رضى الله عنهم على الحوض فعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: «**إنكم ستلقون بعدى أثَرَةً[٤] فاصبروا حتى تلقونى على الحوض**»

متفق عليه.

---

(١) أذود: أى أطرد وأدفع.

(٢) السيما: العلامة.

(٣) الغرة: بياض فى جبهة الفرس والتحجيل بياض فى يديها ورجليها. أى أنهم يأتون يوم القيامة وعلى هذه المواضع نور يعرفون به.

(٤) الأثرة: استئثار الأمراء بأموال بيت المال.

٢٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال النبى ﷺ: «**حَوْضى مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكِيزَانُهُ**[١] **كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً**» متفق عليه.

٣٠- وعن ثوبان رضي الله عنه أن نبى الله ﷺ قال: «**إنى لبِعُقر حوضى**[٢] **أذود الناس لأهل اليَمَن، أضرب بعصاى حتى يرْفضّ**[٣] **عليهم**» فَسُئِلَ عن عرضه فقال: «**من مقامى إلى عمّان**» وسئل عن شرابه فقال: «**أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يَغُتُّ فيه ميزابان**[٤] **يمُدّانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق**[٥]» رواه مسلم.

طعام أهل الجنة يوم القيامة:

وفى هذا اليوم الطويل يكرم الله جَلَّ ثناؤه من عباده الذين ارتضى لهم الجنة داراً ومسكناً ويقلب لهم الأرض خبزةً واحدةً فيأكلوا منها حتى يدخلوا الجنة.

٣١- عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**تكون الأرض يوم القيامة خُبزة واحدة يكفؤها**[٦] **الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته فى السفر نُزُلاً**[٧] **لأهل الجنة**» قال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى» قال: تكون الأرض خبزة واحدة ـ كما قال رسول الله ﷺ ـ قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه[٨] قال: **ألا أخبرك بإدامهم**[٩]؟ قال: «بلى» قال: «**إدامُهُمْ بالَامْ ونُونْ**[١٠]» قالوا: وما هذا؟

---

(١) كيزانه: آنيته.

(٢) عقر الحوض: قيل هو موقف الإبل منه عند الورود وقيل: مؤخره.

(٣) يرفض: أى يسيل.

(٤) أى يدفقان فيه الماء دفقاً شديداً.

(٥) الورق: أى الفضة.

(٦) يكفؤها: يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوى.

(٧) النزل: هو ما يعد للضيف عند نزوله.

(٨) النواجذ: جمع ناجذ وهو آخر ضرس وتطلق أيضا على الأنياب.

(٩) الأدم: أى ما يؤكل مع الخبز.

(١٠) النون: أى الحوت.

قال: «ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما [1] سبعون ألفاً» متفق عليه.

شفاعة النبى ﷺ فى إدخال من لا حساب عليه من أمته الجنة:

قال الله عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ[2] الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣].

٣٢- وعن أبى هريرة وحذيفة ـ رضى الله عنهما ـ قالا: قال رسول ﷺ «يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابنى إبراهيم خليل الله». . . . . الحديث رواه مسلم.

٣٣- وقد رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أُتِىَ رسول الله ﷺ يوماً بلحم. فرُفِعَ إليه الذراع وكانت تعجبه. فَنَهَسَ[3] منها نهسة فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة. وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحدا[4]. فيُسمعهم الداعى وينفذهم البصر[5]. وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون. وما لا يحتملون. فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: ائتوا آدم. فيأتون آدم. فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر. خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله. ولن يغضب بعده مثله. وإنه

---

(١) زائدة الكبد: وهى القطعة المنفردة المعلقة فى الكبد وهى غاية فى اللذة.

(٢) أزلفت: أى قربت.

(٣) فنهس: بمعنى أخذ بأطراف أسنانه.

(٤) فى صعيد واحد: الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية.

(٥) وينفذهم بصرهم: معناه أنه يحيط بهم الناظر، لا يخفى عليه منهم شىء لاستواء الأرض. أى ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين.

نهاني عن الشجرة فعصيته. نفسي نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح! أنت أول الرسل إلى الأرض. وسمّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي. نفسي. نفسي. اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله. وذكر كذباته[1]. نفسي. نفسي. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله. فضّلك الله برسالته وبتكليمه على الناس. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: لقد غضب ربي اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها. نفسي. نفسي. اذهبوا إلى عيسى ﷺ. فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله وكلّمت الناس في المهد وكلمته منه[2] ألقاها إلى مريم، وروح منه[3]. فاشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. ولم يذكر له ذنبا. نفسي. نفسي. اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتوني فيقولون: يا محمد! انت رسول الله وخاتم الأنبياء. وغفر الله لك

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثا» رواه البخاري (٧/ ٢٠٠) وفي رواية أخرى للشيخين «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقال: بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبني وقال العلماء: إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة لكونه من باب المعاريض المحتملة للأمرين وفوله في سارة (أختي): أي أختي في الإسلام ولذلك نبه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة في الكذب المذموم.

(٢) أي لأنه كان بكلمة (كُن) فحَسْب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم وعلى أمه السلام

(٣) روح منه: أي مخلوقة من عنده سبحانه وقيل: أي ليس من أب إنما نفخ في أمه الروح.

ما تقدم من ذنبك وما تأخر . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي . ثم يفتح الله عَلَيَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي . ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك . سل تُعْطَهْ . اشفع تُشفَعْ . فأرفع رأسي فأقول : يا رب ! أمتي . أمتي . فيقال : يا محمد ! أدخل الجنة من أمتك ، من لا حساب عليه ، من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المِصْراعين[1] من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر[2] أو كما بين مكة وبُصرى[3] » متفق عليه .

سؤال النبي ﷺ ربه عز وجل زيادة عدد الذين يدخلون الجنة من أمته بغير حساب وإجابة الكريم الوهاب:

٣٤- عن أبي أمَامَة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «وعدني ربي عز وجل أن يُدخِلَ الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات[4] من حثيات ربي عز وجل» رواه أحمد وصححه الألباني .

أمة محمد ﷺ أول من يحاسب من بين الأمم:

وفي هذا اليوم يُكرِمُ الله جل ثناؤه النبي ﷺ ومن اتبعه من المسلمين فهم وإن كانوا آخر الأمم إلا أن الله سبحانه يجعلهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يدخل الجنة .

٣٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة . بَيْد أن كل أمّة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، ثم هذا

---

(١) المصراعان : جانبا الباب .

(٢) هَجَرُ : من المدن الكبيرة في البحرين .

(٣) بُصرَى : مدينة معروفة في جنوب سوريا .

(٤) الحُثية : الغرفة الواحدة باليد .

اليوم[1] الذى كتبه الله علينا هدانا الله له ، والناس لنا فيه تبعٌ : اليهود غداً ، والنصارى بعد غد» متفق عليه .

٣٦- وفى رواية عن أبى هريرة وحذيفة ـ رضى الله عنهما ـ : «.... **نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقْضىٌ لهم قبل الخلائق**» رواه مسلم .

٣٧- وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب ، يقال : أين الأُمَّةُ الأميَّة ونبيها ؟ فنحن الآخرون الأولون**»

رواه ابن ماجه وصححه الهيثمى والألبانى .

من صور الحساب:

قال الله عز وجل : ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء : ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ [الغاشية : ٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ **فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ** ﴾ [الأعراف : ٦-٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ[2] (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ[3] ﴾ [القيامة : ٢٠-٢٥] .

٣٨- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه ما ترون هذا القمر**»

رواه مسلم .

---

(١) أى يوم الجمعة .

(٢) باسرة : أى كالحة عابسة .

(٣) فاقرة : أى هلاك وشر وعذاب .

كفر المتبوع بالتابع:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿واتَّخذوا من دون اللَّه آلهةً ليكونوا لهم عزًّا (٨١) كلاَّ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

قال الله جل ثناؤه: ﴿ويوم نحشرهم جميعًا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم[1] وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون (٢٨) فكفى بالله شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ [يونس: ٢٨-٢٩].

وقال الله عز وجل: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين (٣١) قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين (٣٢) وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

وفي يوم القيامة وعند الحساب يقول الأتباع المستضعفون للكهنة والقساوسة والسادة والقادة: أنتم صددتمونا عن الهدى وأورثتمونا العذاب فيقول هؤلاء: نحن أمرناكم برفض الإسلام لله وأمرناكم باتخاذ الأنداد فما كان منكم إلا السمع والطاعة دون أن تفكروا فيما قلناه لكم.

تبرؤ الملائكة من المشركين:

قال الله عز وجل: ﴿ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا

---

(١) زيلنا بينهم: فرقنا بينهم.

يعبدون (٤٠) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

تقول الملائكة: سبحانك لا إله إلا أنت نحن عبيدك ونبرأ إليك من عبادتهم لنا ما أمرناهم بذلك ولكنهم كانوا يعبدون الشياطين وبهم يؤمنون.

فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ [سبأ: ٤٢].

عجز الأوثان عن نصر الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (١) (٥٢) ورأى المجرمون النار فظنوا (٢) أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ [الكهف: ٥٢-٥٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ [القصص: ٦٤].

وقال الله جل ثناؤه: ﴿لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ [الأنعام: ٩٤].

يخبر الله عز وجل عما يوبخ به المشركين يوم القيامة: ادعو الآلهة التي كنتم تعبدونها في الحياة الدنيا، هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ يقول تعالى: ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ [القصص: ٦٤].

---

(١) موبقا: أي مهلكا. وقيل: هو واد في جهنم.

(٢) أي: تحققوا أنهم سيدخلونها.

تبرؤ المسيح عليه السلام ممن اتخذه وأمه إلهين من دون الواحد القهار:

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

يقول عيسى عليه السلام : يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي . يا رب إنه لا يخفى عليك شيء ، يا رب ما أمرتهم إلا بما أرسلتني به : إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، وكنت شهيداً عليهم مدة حياتي بينهم وأنا يا رب بريء مما أحدثوا من بعدي . والأمر بيدك يا رب فافعل بهم ما تشاء .

قال الله تعالى : ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

يقول تعالى مجيباً عبده ورسوله عيسى عليه السلام : هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم أي الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين بما يكون لهم من ثواب في جنان الخُلد التي تجري من تحتها الأنهار ورضوان من الله أكبر وذلك هو الفوز العظيم .

من فضائل هذه الأمة شهادتهم على الأمم جميعا يوم القيامة:

ثم يُدْعَى الرسل والأنبياء وأممهم يوم القيامة فتنكر الأمم تبليغ الرسل فتشهد هذه الأمة على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتهم وأنهم كذبوا رسلهم .

٣٩- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «يُجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾[البقرة: ١٤٣]. قال: عدلاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[البقرة: ١٤٣] رواه البخاري.

٤٠- وعنه أيضا رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيُدعى قومه فيقال لهم: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله -: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾[البقرة: ١٤٣] - قال: يقول: عدلاً - ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[البقرة: ١٤٣]» رواه أحمد وصححه الألباني.

مناقشة الحساب:

ثم يحاسب الله عز وجل عباده فمنهم من يناقشه في الحساب ويستقصي عليه ويوقفه على قبيح أعماله ثم يساق إلى جهنم.

قال الله عز وجل: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ [مريم: ٣٩].

وقال الله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ [آل عمران: ٣٠].

السؤال يومئذ عن خمس:

٤١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم**»

رواه الترمذي وقال الألباني: إسناده حسن.

وكذلك اليوم تنسى:

٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟**» قالوا: لا قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة**»؟ قالوا: لا. قال: «**فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال: فيلقى العبد فيقول: أي فُلْ[1] ألم أكرمك وأسوِّدْك[2] وأزوجْك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع[3]؟ فيقول: بلى قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب فيقول: أفظننت أنك مُلاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: ههنا إذاً، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليَّ؟**

---

(١) أي يا فلان.

(٢) أي أجعلك سيداً على غيرك.

(٣) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها.

فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه» رواه مسلم.

٤٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي» متفق عليه.

من نوقش الحساب عُذّب:

٤٤- عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه (٧) فسوف يُحاسبُ حسابا يسيرا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]. فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب» متفق عليه.

لا ترجمان بين العبد وبين ربه عز وجل:

٤٥- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» رواه البخاري.

أول ما يحاسب الناس عليه يومئذ:

وأول ما يحاسب العبد عليه يومئذ الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله.

٤٦- عن أنس بن حكيم الضبي قال: خاف من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقي أبا هريرة قال: فَنَسَبَنِي فانْتَسَبْتُ له فقال: يا فتى ألا أحدثك حديثاً؟ قال: قلت: بلى رحمك الله، قال يونس وأحسبه ذكره عن النبي ﷺ قال: «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها

شيئاً قال: انظروا هل لعبدى من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم» رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى.

الحساب اليسير:

ويدنى الله عز وجل بعض المؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم فيعرض عليهم أعمالهم ويقررهم ويذكرهم بذنوب عملوها فى الدنيا ثم يعفو عنهم ليعلموا منّة الله جل ثناؤه على أهل الإيمان والإسلام.

٤٧- عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يُدنى المؤمن فيضع عليه كَنَفه[1] ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أى رب، حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه من أهل النار، فيقول الله له: سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أسترها عليك فى الآخرة فيعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾» [هود: ١٨] متفق عليه.

أول ما يقضى بين الناس يومئذ فى الدماء:

٤٨- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة فى الدّماء» متفق عليه.

قال العلماء: ليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المتقدم «أول ما يحاسب الناس به من أعمالهم الصلاة» لأن هذا الأخير فيما يتعلق بعبادة الخالق أما الآخر فهو فيما يتعلق بمعاملات الخلق.

كيفية القصاص يومئذ:

٤٩- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»

رواه البخارى.

٥٠- وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المُفلس؟»

---

(١) يضع عليه كنفه: يرحمه ويحفظه ويكلؤه.

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار» رواه مسلم.

المراؤون أول الناس الذي يقضى عليهم يوم القيامة:

٥١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن، ليقال: هو قارىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبُّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم أُلقي في النار» رواه مسلم.

المصورون من أشد الناس عذابا يومئذ:

٥٢- عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وفي البيت قرامٌ[1] فيه صور، فتلوّن وجهه[2] ثم تناول السِّتْرَ فهتكه[3] وقالت: قال النبي ﷺ يقول: «من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور» متفق عليه.

٥٣- وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» متفق عليه.

---

(١) قرام: أي ستر.

(٢) هتكه: جذبه حتى أوقعه من موضعه.

(٣) تلون: تغير من الغضب.

٥٤- عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور فى النار، يجعل[1] له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه فى جهنم» رواه مسلم.

الذين لا يعودون المرضى:

٥٥- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدنى، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى» رواه مسلم.

صبغة النار وصبغة الجنة:

٥٦- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصْبَغُ فى النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة[2] فى الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط» رواه مسلم.

٥٧- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول: أى رب خير منزل فيقول: سَلْ وتَمَنَّ فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة ويؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أى رب شر منزل فيقول له: أتفتدى منه بطلاع[3] الأرض ذهبا؟ فيقول: أى رب نعم

---

(١) الفاعل هو الله تعالى، أضمر للعلم به.

(٢) أى يغمس غمسة.

(٣) طلاع: أى قدرها.

فيقول: كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيُردُّ إلى النار»

رواه أحمد وصححه الألباني.

قصر يوم القيامة على المؤمنين:

٥٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر» رواه الحاكم وصححه الألباني.

صفة حساب رجل ممن شاء الله تعالى أن يغفر له بالرغم من كثرة سيئاته:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

٥٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يارب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظْلَمُ، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»

رواه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني.

الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد وسقوط الكفار في النار. كشف الساق. وتحول الخلائق من الموقف والمرور على الصراط وشفاعة النبي ﷺ والنبيين والملائكة - عليهم السلام - والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين:

ثم ينادي المنادي: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيسمعون ويطيعون ويتساقطون في جهنم ولا يبقى إلا مَنْ كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر فيأتيهم الله جَلَّ ثناؤه في صورة غير التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيستعيذون بالله منه ويقولون: إذا جاء ربنا عرفناه فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون:

نعم الساق، فيكشف الرحمن عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويُسْتَعْصَى السجود على المنافق والمرائى، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحّول الله تبارك وتعالى فى صورته الأولى فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا. ثم يؤتى بالصراط فيُجعلُ بين ظهرى جهنم ويمر الناس عليه إلى الجنة، وهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف. وسرعة الناس عليه على قَدْرِ أعمالهم فالمؤمن كالطَّرْف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب. وعلى الصراط خطاطيف مأمورة، فمن الناس من ينجو ومنهم من يُخْدَشُ ومنهم الموبق بعمله فإذا فَرغَ الله عز وجل من القضاء بين عباده أذنَ للشافعين فى إخراج المؤمنين الذين أوْبَقَتْهُمْ أعمالهم فى النار فيخرجون وقد ماتوا وتفحّموا فيُلقَوْن فى نهر الحياة بأفواه الجنة فينبتون كما تنبُتُ الحبَّة فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ثم يُدخلُهُم الله جل ثناؤه الجنة.

حديث الصراط:

٦٠- عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارّونَ [١] فى رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون فى رؤيتهما**» ثم قال: «**ينادى منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغُبَّراتٌ [٢] من أهل الكتاب. ثم يُؤتى بجهنم تُعْرَضُ كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا، فيتساقطون فى جهنم ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسْقِينَا فيقال: اشربوا، فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادى: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنا ننتظر ربنا.**

---

(١) هل تضارون؟: أى هل يلحقكم فى رؤيته ضر، وهو الضرر.

(٢) غبرات: أى بقاياهم جمع غابر.

قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا - وفي رواية عند البخاري - فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون - فلا يُكَلِّمُهُ إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طَبَقاً واحداً [1]، ثم يؤتى بالجسر فيُجعلُ بين ظَهْرَيْ جهنم» قلنا: يا رسول الله وما الجسرُ؟[2] قال: «مَدْحَضَةٌ [3] عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة [4] مفلطحة لها شوكة عقيفة [5] تكون بنجد يقال لها: السَّعْدان، المؤمن عليها كالطَّرْف [6] وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم [7] حتى يمر آخرهم يسحب سحبا، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم [8] يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرِّمُ الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيُخرِجون من عرفوا ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا» قال أبو سعيد: فإن لم تُصَدِّقُوني فاقرؤوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيُخْرِجُ أقواماً قد امتحشوا [9] فيُلْقَوْنَ في نهر

---

(١) الطبق: فقار الظهر، أي صارت فقاره واحدة، كالصفيحة لا يقدر على السجود لله تعالى.

(٢) الجسر: بفتح الجيم وكسرها هو الصراط.

(٣) مدحضة مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل في الأقدام ولا تستقر.

(٤) الخطاطيف والكلاليب: جمع خطاف وكلوب أو كلاب. والخطاف حديدة حجناء أي معوجة والكلوب أيضاً حديدة معطوفة الرأس، الحسكة: شوكة صلبة معروفة، مفلطحة: أي عريضة.

(٥) عقيفة: أي ملوية كالصنارة.

(٦) كالطَّرْف: أي أنه يمر بسرعة الطرف، وهو إطباق الجفن على الجفن.

(٧) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء، وقسم يخدش ثم ينجو فيخلص، وقسم يكدس ويسقط في جهنم ومكدوس في النار أي مدفوع.

(٨) أي العصاة الذين سقطوا في النار.

(٩) امتحشوا: احترقوا.

بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبتُ الحبَّة في حميل السَّيل [1] قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيُجعَل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله ومعه» متفق عليه.

رواية أخرى لحديث الصراط:

٦١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب»؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت [2] وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويُضرَبُ [3] جسر جهنم» قال رسول الله ﷺ: «فأكون أول من يُجيزُ ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم وبه كلاليب مثل شوك السَّعْدان [4]، أما رأيتم شوك السعدان»؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قَدْرَ عظمها إلا الله فتخطَفُ الناس بأعمالهم منهم المُوبَق [5] بعمله ومنهم المُخرْدَلُ [6] ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يُخرِج من النار من أراد أن يُخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يُخرِجُهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرَّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود

---

(١) حميل السيل: هو ما يحمله السيل من طين وغيره.

(٢) الطواغيت: جمع طاغوت وهو كل ما عبد من دون الله تعالى.

(٣) أي يمد الصراط على جهنم.

(٤) السعدان: نبت مستدير يكون بحجم الأطفر وله شوك معقف من كل الجوانب.

(٥) الموبق: الهالك.

(٦) المخردل: المقطع بالكلاليب.

فيخرجونهم قد امتحشوا فيُصَبُّ عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتُون نبات الحبة فى حميل السيل ويبقى رجل مُقبلٌ بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قَشَبنى ريحها [1] وأحرقنى ذكاؤها [2] فاصرف وجهى عن النار، فلا يزال يدعو الله فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألنى غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيُصْرَفُ وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك: يا رب قرّبنى إلى باب الجنة فيقول: أليس زعمت أن لا تسألنى غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فلا يزال يدعو، فيقول: لعلّى إن أعطيتك ذلك تسألنى غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره فيُعطى الله ما شاء من عهد وميثاق أن لا يسأله غيره فيُقَرِّبُهُ إلى باب الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكُت ثم قال: رب أدخلنى الجنة، ثم يقول: أو ليس قد زعمت أن لا تسألنى غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: يا رب لا تجعلنى أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تمنَّ من كذا، فيتمنّى حتى تنقطع به الأمانى، فيقول: هذا لك ومثله معه» قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً. قال عطاء: وأبو سعيد جالس مع أبى هريرة لا يُغَيِّرُ عليه شيئاً من حديثه حتى انتهى إلى قوله: «هذا لك ومثله معه» قال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هذا لك وعشرة أمثاله»؟ قال أبو هريرة: حَفِظْتُ «مثله معه» متفق عليه.

شفاعة النبى ﷺ فى إخراج المؤمنين من النار:

فإذا فرغ الله جلَّ ذكره، من القضاء بين العباد وعَرَفَ كلٌ سبيله، أذن سبحانه بالشفاعة، فشفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون فيمن كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان وشفع الملائكة فيمن احترق من أهل الذنوب والمعاصى حتى إذا شفع هؤلاء قال الرحمن: بقيت شفاعتى، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون فى حافتيه.

٦٢- عن معبد بن هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذريتك

---

(١) قشبنى: سمنى وآذانى وأهلكنى.

(٢) ذكاؤها: لهبها وشدة وهجها.

فيقول: ليست لها» وساق الحديث حتى قال: «فأوتى فأقول: أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يُلْهِمُنيه الله ثم أخرُ له ساجداً فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمعْ لك وسل تُعْطَهْ واشفع تُشَفَّعْ فأقول: يا رب أمتى أمتى فيقال: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برَّةٍ أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُ له ساجداً فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعْطَهْ واشفع تشفع فأقول: أمتى أمتى فيقال لى: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُ له ساجداً فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسْمعْ لك وسل تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأقول: يا رب أمتى أمتى فيقال لى: انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل».

هذا حديث أنس الذى أنبأنا به، فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجَبّان [1] قلنا: لو ملنا إلى الحَسَن [2] فسَلَّمنا عليه، وهو مستخف فى دار أبى خليفة، قال: فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا: يا أبا سعيد جئنا من عندِ أخيك أبى حمزة فلم نسمع مثل حديث حدَّثناه فى الشفاعة قال: هيه [3]، فحدثناه الحديث فقال: هيه، قلنا ما زادنا، قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع [4] ولقد ترك شيئاً ما أدرى أنَسِيَ الشيخ أو كره أن يُحَدِّثَكُمْ فَتتَّكِلُوا قلنا له: حدِّثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه: «ثم أرجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرُ له ساجداً فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسْمعْ لك وسَلْ تُعْطَ واشفع تُشَفَّعْ فأقول: يا رب ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله قال: ليس ذاك لك (أو قال: ليس ذاك إليك) ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى [5] لأخرجنَ منها من قال: لا إله إلا الله» متفق عليه.

---

(١) الجبان والجبانة: هما الصحراء ويسمى بهما المقابر لأنها تكون فى الصحراء.

(٢) هو الحسن البصرى.

(٣) هيه: لفظة تقال عند الاستزادة من الحديث.

(٤) جميع: أى مجتمع القوة والحفظ.

(٥) جبريائى: أى عظمتى وسلطانى وقهرى.

شفاعة النبى ﷺ فى أهل الكبائر من أمته:

٦٣- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبى دعوة مستجابة فتعجَّل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة، إن شاء الله، من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً**» متفق عليه.

أسعد الناس بشفاعة النبى ﷺ:

٦٤- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصا من قِبَل نفسه**[1]» رواه البخارى.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: المراد بهذه الشفاعة المسؤول عنها هنا بعض أنواع الشفاعة وهى التى يقول ﷺ: «أمتى أمتى» فيقال له: أخرج من النار مَنْ فى قلبه وزن كذا من الإيمان، فأسعد الناس بهذه الشفاعة من يكون إيمانه أكمل ممن دونه، وأما الشفاعة العظمى فى الإراحة من كرب الموقف فأسعد الناس بها من يسبق إلى الجنة وهم الذين يدخلونها بغير حساب، ثم الذين يلونهم وهو من يدخلها بغير عذاب بعد أن يُحاسَبَ ويستحق العذاب، ثم من يُصيبُه لفح من النار ولا يسقط.

إخراج العصاة الموحدين من النار بعد موتهم فيها رحمة من عند الله تعالى:

٦٥- عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال: بخطاياهم ـ فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر[2] فبُثُّوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل**»[3] فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية. رواه مسلم.

---

(١) أى قال ذلك باختياره.

(٢) ضبائر ضبائر: أى جماعات متفرقة.

(٣) حميل السيل: هو ما يحمله السيل من طين وغيره ونبات الحب فى سريع.

قال النووى ـ رحمه الله ـ : وأما معنى الحديث فالظاهر والله أعلم أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون كما قال تعالى : ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[فاطر : ٣٦] وكما قال تعالى : ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾[الأعلى : ١٣] وهذا جار على أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم وأن عذاب أهل الخلود فى النار دائم، وأما قوله ﷺ : «ولكن ناس أصابتهم النار» إلى آخره فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يُميتُهُم الله تعالى إماتة بعد أن يُعذَّبوا المدة التى أرادها الله تعالى، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين فى النار من غير إحساس المدة التى قدَّرها الله تعالى ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحماً فيُحملون ضبائر كما تُحْمَلُ الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة فيُصبُ عليهم ماء الحياة فيحيون وينبتون ويصيرون إلى منازلهم، وتكمل أحوالهم ، فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه والله أعلم.

أصحاب الأعراف:

قال الله عز وجل : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ [١] وَعَلَى الْأَعْرَافِ [٢] رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ [٣] وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف : ٤٤-٤٩].

٦٦- وعن حذيفة رضي الله عنه قال : أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

---

(١) حجاب : حاجز.

(٢) الأعراف : قيل إنه سور وقيل : إنه تل بين الجنة والنار وقيل : غير ذلك والله أعلم بالصواب.

(٣) السيما : العلامة، أى يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه.

وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك قال : قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم» رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ : لما ذكر الله تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار نَبَّهَ أن بين الجنة والنار حجابًا وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة . قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ : وهو السور الذي قال الله تعالى فيه : ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ [الحديد : ١٣] وهو الأعراف الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وعلى الأعراف رجال﴾ [الأعراف : ٤٦] قال : والأعراف جَمْعُ عُرف وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفاً وإنما قيل لعُرْف الديك : عرفاً ، لارتفاعه قال ابن كثير : واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف : مَنْ هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله .

القنطرة بين الصراط والجنة:

فإذا جاز المؤمنون على الصراط ونَجَوْا من النار وشفعوا فيمن أذن الله تعالى من أهل النار دخلوا الجنة إلا مَنْ كانت له مظلمة عند أخيه فإنهم يُحْبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص بعضهم من بعض ثم يُؤْذَن لهم في دخول الجنة .

٦٧ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» رواه البخاري .

قال الحافظ ابن حجر : ولعل أصحاب الأعراف منهم ، يعني رَحِمَهُ الله الذين كانت عندهم مظالم كثيرة لإخوانهم بحيث تستوي حسناتهم وسيئاتهم فيطول

حَبْسُهم ويَرَوْنَ أصحاب الصراط يسقطون فى النار فيشفقون منها ويرون أصحاب الجنة فينادونهم : ﴿أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾

[الأعراف : ٤٦] .

والله أعلم .

النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء:

٦٨- عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «تحاجَّت الجنة والنار فقالت النار : أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة : مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم؟[1] قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار : إنما أنت عذاب أُعذِّبُ بك من أشاء من عبادى ، ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول : قَطْ قط [2] فهنالك تمتلىء ويُزْوَى[3] بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل يُنْشىء لها خلقاً»

متفق عليه .

---

(١) سقطهم : أى المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم .

(٢) قط : أى حسبى يكفينى هذا .

(٣) أى يضم بعضها إلى بعض فتجتمع على من فيها .